Coptology

العدمية Nihilism

في الفكر الكنسي المعاصر

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠٢٠

www.coptology.org

للكاتب Ronald Nash عبارة جديرةٌ بالذكر يقول فيها: "العدمية هي إنكار كل المبادئ، وإبادتها تمامًا والإبقاء على حطام ما كان موجودًا بدون تقديم أي بنيةٍ".

وما كنت أظن في نفسي أنني سأكتب مقالًا عن تيار العدمية السائد في الفكر الكنسي المعاصر، خصوصًا وأن نموذج الحياة والتعليم لدينا هو شخص الرب يسوع المسيح الذي قال وحده دون سائر البشر: "أنا هو الحياة"، و"أنا هو الحق، وتعرفون الحق والحق يحرركم".

لكن استرعي انتباهي تلك العدمية التي تسللت إلى خطاب الشتامين الذين أهملوا النقد الكتابي واللاهوتي والقانوني والرد التاريخي على ما ساد طوال ٤٠ عامًا هي فترة رئاسة الأنبا شنودة، واتجهوا فقط إلى الهجوم على شخصي بكل الألفاظ الجارحة التي لا رَدَّ لائقًا عليها إلَّا اللجوء إلى محكمة الجنايات. ولكنني مسيحيٌّ ولن أكون إلَّا مسيحيًّا يغفر الإساءة مهما بلغت. ولذلك كان عليَّ أن أترك الجانب الشخصي وتجنب السقوط في إغراء الرد على تفاهات ونفايات عقولٍ لا تعرف إلا الكراهية ونشر الأحقاد.، فهم **أولًا** لا يقدمون أفكارًا تستند إلى أساس تاريخيٍ، فالتاريخ الكنسي لديهم مجهولٌ وغير معروف، وبالرغم من ذلك يرفضون العودة إلى التاريخ، وهو ما يعني الاستمرار في ذات التوجه العدمي. و**ثانيًا**: يتجاهلون ١٦٠٠ سنة من حياة أُم الشهداء، وكأن ما حدث وما أُسِّس طوال هذه الفترة لا وجود له، فقد اكتفوا بفترة رئاسة الأنبا شنودة الثالث التي اعتبروها كل شيء!! وأنكروا كل ما يُنشَر بدعوى أنه مترجم عن مصادر غربية، دون أن يحددوا هذه المصادر، وهو أيضًا نوعٌ من بث العدمية في الثقافة القبطية المعاصرة، لأن حذف ١٦٠٠ سنة من عمر أُم الشهداء يقطع بالجهل وعدم الإدراك. وأكبر دليل على ذلك أن فترة رئاسة الأنبا شنودة الثالث وحتى نياحته، بل وما بعد نياحته أيضًا، هي فترة تؤرِّخ بكل أمانة لتحوَّل شرحُ العقائد إلى عقائد، وبالتالي تجريم ومطاردة كل من يقدم تأويلًا مختلفًا.

ثقافة الاختلاف

الاختلافُ حقيقةٌ بيولوجية نراها في بصـــمات الأصـــابع وفي الحمض النووي للخلية. ولكن الحياة الفكرية التي تســـود فيها العدمية، يســـود فيها إنكار الآخر وذلك بإنكار رأيه ومطاردته وتشويه صورته ووصف ما أنتجه بأحط الأوصاف، وهو تعبير عن النرجسية الطاغية والجهل المطبق.

ولأن مصطلحات إلغاء الآخر تختلف من عصر إلى عصر، فقد أصبحت الهرطقة والكفر هي التعبيرات المعاصـــرة لهذا الإلغاء. فإذا لم تنل الاتهامات بالهرطقة أو الكفر من قلب الآخر وكبده، فالاتهامات الســـياســـية جاهزة عن طريق اســـتعداء ما يُعرف باســـم "شركاء الوطن"، وهو تعبير سياسي يمكن أن يغطي أي اتهام ممكن وغير ممكن.

وغير خافٍ ما يحدث من إلغاء للآخر عن طريق فرض الرقابة على دور النشـــر، وتحريم عرض المؤلفات في معارض الكتب، ولنا في تحريم عرض كتب الأب متى المســـكين، وكتاب أقوال مضيئة لآباء الكنيسة، في معرض الكتب القبطية نموذجًا دالًا.

التطهُّر من العدمية

غير أن إشـــاعة ثقافة الحوار وثقافة قبول الآخر، أي ثقافة الاختلاف، وبالتالي التطهر من العدمية لا يمكن أن تنشـأ بقرار أو سـلطة، بل يجب أن يكون ذلك هو توجُّه المجتمع ككل. لأن الخطاب عن الفكر الديني صار معتقلًا في أروقة الذين ينادون بالتقليد، أي جمود الفكر، رغم أن التقليد هو تعبير لغوي مرفوض، لأن الكلمة الصـــادمة هي التسليم الكنسي.

وبالتالي فإن ثقافة الاختلاف لا يمكن أن يكون لها أســـاس ديني، لأن ما هو سـائد هو الثوابت، وهكذا كانت معارك الأب متى المسـكين هي ذاتها معارك الدكتور طه

حسين وغيره من رواد الثقافة المصرية مثل لويس عوض والشيخ على عبد الرازق، فهي ذات الصراع مع اختلاف الألفاظ.

وبالرغم من رحيل رواد الثقافة المصرية وبقاء الوضع كما كان عليه، ولكن لازال الأمل في الرواد من الشباب على المستوي الكنسي مثل الذين قدموا لنا في الفترة الأخيرة عصارة حياتهم في أربع مجلدات هامة: قصد الدهور – تدبير ملء الأزمنة – تدبير الخلاص عند الآباء – عقيدة التأله عند الآباء، وهو ترجمة لرسالة الدكتوراه للأب الدكتور نورمان راسل.

وكم من وهجاتٍ من نور ونار الروح القدس ما تزال مخبؤةً في رحم الكنيسة، ومن لا يصدق عليه أن يتذكر ما كان يحيط بالروح القدس من صمتٍ حتى صدر كتاب العنصرة للأب متى المسكين وألقى حجرًا كبيرًا في بركة الركود الفكري.

والرب قادرٌ دائمًا.

دكتور

جورج حبيب بباوي